تجلّيات النزعة الإنسانية في الممارسات والمقاصد الحربية في الحضارة الإسلامية
- قراءة في الفعل التاريخي -

د. مصطفى مغزاوي
marzaoui@gmail.com
جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف

تاريخ الوصول : 2018/04/17 القبول:2019/01/06 النشر على الخط:.....
Received :.....l Accepted :.....l Published online :.....

المقدمة والإشكالية :

من صور تحامل المستشرقين على الحضارة الإسلامية تقزيم الإنجازات الحضارية والعلميّة وتغليب الصبغة الحربية العسكرية، مُسوِّقين تاريخ إسلامي مبدأه ومُنتهاه مؤامرات مُدبّرة ومعارك طاحنة وحروب همجية[1]، والحقيقة خلاف ذلك تماماً، فإنَّ الحضارة الإسلامية عمَّت بمُنجزاتها الإبداعيَّة أرجاء الأرض، عاشت الإنسانية على حصادها العلمي والثقافي والفكري قرونا من الزمن أمّا الحرب في الحضارة الإسلامية فقد كانت الاستثناء لا القاعدة، والوسيلة لا الغاية، بل شكَّل الجانب العسكري نفسُه في الحضارة الإسلامية مظهراً تجلّت فيه أرقى معاني الحضارة التي تحفظ للإنسان كرامته، فالحرب في دستور الحضارة الإسلامية لها رؤية وضوابط ومقاصد ذات نزعة إنسانية في مختلف ممارساتها، ولن نقف طويلاً عند النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تضبط الممارسات الحربية والأعمال العسكرية، بل سنتتبّع من خلال صفحات التاريخ الإسلامي مواقف جليلة وممارسات عمليه تشهد بصدق على القيم الإنسانية في الممارسات الحربية ومقاصدها في الحضارة الإسلامية، وهي شواهد تاريخيّة ثابتة وليست مجرّد تصوُّرات نظرية دوّنها مؤرخوا الحضارة الإسلامية بإملاءات ذاتية، بل لها من الحوادث التاريخية الشاهدة والمواقف الخالدة ما يجعلها بحق حضارة تحفظ كرامة الإنسان لإنسانيّته مُسالماً كان أم مُحارباً.

- الحرب في الحضارة الإسلاميّة: إنسانية الأهداف والمقاصد .

يَقترن مُسمَّى الحرب في الحضارة بمصطلح الجهاد، والذي يعني بذل الجهد والتضحية أولاً، وأن يكون في سبيل الله تعالى خالصاً له ثانياً، فإذا انتفى أحد الشرطين انتفى المعنى[2]، فلا اعتبار لأي جُهدٍ إن لم يكن خالصاً لله تعالى مُتخلّصًا من الأهواء والنزوات وحظوظ النفس

1 - أُنظر عرضًا لهذه المزاعم وكشفاً لها ورداً عنها في العمل الجليل الذي تقدّم به نخبة من الأكاديميين والموسوم بـ : موسوعة بيان الإسلام (الرد على الإفتراءات والشبهات)، دار نهضة مصر للنشر، الطبعة الأولى، 2011، مصر، ج: 04، ص: 17 - 74 .

2 - شهاب الدين القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م، ج: 03 ، ص: 1093 .

والانتصار لها، نقيّاً من نزعة الانتقام والاحتقان، فالإخلاص أوّل وأسمى خصوصيّة للحرب في الحضارة الإسلاميّة، وإخلاص الجهد والتضحية لله تعالى يُصيّر الحربَ عبادةً، والعبادةُ لا تتضمّن ظلما أو قهرا أو استغلالاً للآخرين.

هذه السِمة يُعبّرُ عنها قول النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يُعلّمُ أصحابه المقصد من الحروب إذ يقول : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"[1]، فعبادات الإسلام كلها مقرونة بالإخلاص، فكيف بعبادة الجهاد التي تُعرفُ بذروة سَنامِ الإسلام ؟[2]، فسِمةُ الإخلاص كمقصد أساسيّ للحروب في الحضارة الإسلامية قيَّد الحروب في قالبٍ مُنضبط ومَسارٍ واضح حفظ للحروب أخلاقيُّاتها وللإنسانيّة كرامتها.

والمُتتبّع لسير المعارك والحروب في الحضارة الإسلامية والمتفحص لمقاصدها يجدُ ما يشهد على ذلك، فالجيوش الإسلاميّة التي توزعت مشرقا ومغرباً خاضت معاركها لتحطَّ رحالها في مناطق لم تكن شيئاً مذكورا وليس لها من المُغريات المادية حينها ما يجذب إليها طامع، كإسبانيا وصقلية وعواصم آسيا الوسطى، بل تحوّلت إلى حواضر بعضها فاق عاصمة الخلافة الإسلامية تحضراً وهذه الحقائق والمُسلّمات هي أقوى شاهد على خلوّ الحروب في الحضارة الإسلاميّة من النزعة المادية الإستغلاليّة التي تُضفي على الحروب النزعة الحيوانيّة، فالحملات العسكريّة حملت إلى هذه المناطق معاني الحضارة والإنسانيّة ولم ترفها موردا للنهب والثراء، وقد عبَّر عن ذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى- مذكراً جيوشه بقوله: " إن الله بعث محمدًا بالحق هاديًا ولم يبعثه جابيًا " [3].

فالإخلاص وما يلحقه من الرغبة في تحقيق العبودية لله تعالى وتحرير الناس من العبوديّة للعباد وإخراجهم من الظلمات إلى النور ورفع الجهل عنهم ورعاية مصالحهم وغيرها كلها مقاصد نبيلة وجّهت ولا تزال تُوجّه الحروب في الحضارة الإسلامية، تنبعُ من قناعة وعقيدة تضبط السلوكيات الحربية والممارسات العسكريّة، ومما يعكس حقاً صدق المقصد ما قاله الصحابي الجليل ربعيّ من عامر مبعوث سعد بن أبي وقاص إلى رستم قائد الفرس في وقعة القادسية : " إنا لم نأتكم لطلب الدنيا، ووالله لإسلامكم أحبُّ إلينا من غنائمكم " [4].

ومن المبادئ الحربية في دستور الحضارة الإسلامية الإنسانية في مقاصدها أنّ الحرب وسيلة وليست غاية، وسيلة عندما تنفذُ السبل فتكون الحرب آخر العلاج اضطرارا لا مبادرةً فتسبقُ الحربَ مبادرات ومحاولات الدعوة والحوار والإعذار قبل أيّ قتال، فنبيُّنا صلى الله عليه

1 - (متفق عليه)، ابن الخطيب العمري التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985م، رقم الحديث: 3814.

2 - (صحيح)، الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، رقم الحديث: 5136 .

3 - ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م، ج: 05، ص: 283.

4 - ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ، ج3، ص: 528.

وسلم لما أرسل علياً بن أبي طالب قائد جيشه لفتح حصون خيبر وجّهه قائلاً: " إنفذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم أُدعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهديَ الله رجلاً بك خير لك من أن يكون لك حُمر النعم"[1] ويذكر البيهقي في ديوانه الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قومًا قط حتى دعاهم "[2]، فالرؤية الحربية في الحضارة الإسلامية ترى الحرب بمنظور الاضطرار والاستثناء وليست الأصل، وهذا ما لا يُنكرهُ عاقلٌ مُنصف، ونسُوق هنا قاعدة حربيّة نبويّة مُقرّرة في الحضارة الإسلاميّة نتلمّس من خلالها الرؤية الحضاريّة التي تستبعد الحرب قدر الإمكان إذ يُوصي النبيّ صلى الله عليه وسلم قائد جيشه : " وإذا لقيتَ عدوَّكَ من المشركين، فادعُهم إلى ثلاثِ خصالٍ أو خِلالٍ، فَأَيَّتَهُنَّ ما أجابوك فاقبَلْ منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادعُهم إلى الإسلامِ، فإن أجابوك فاقبَلْ منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادعُهُم إلى التَّحَوُّلِ مِن دارِهِم إلى دارِ المهاجِرِينَ وأَخْبِرْهُم أنهم إن فعلوا ذلك فَلَهُمْ ما للمهاجِرِينَ وعَلَيهِمْ ما على المهاجرين فإن أبَوا أن يتحوَّلُوا منها، فأخبِرهم أنهم يكونون كأعرابِ المُسلِمينَ يجري عليهم حُكْمُ الله الذي يَجري على المُؤمِنِين، ولا يكونُ لهم في الغنيمة والفَيءِ شيءٌ إلا أن يُجاهدوا مع المسلِمين، فإن هم أبَوا فسَلْهُم الجزيةَ، فإن هم أجابوك فاقبلْ منهم وكُفَّ عنهم ، فإن هم أبَوا فاستَعِنْ بالله وقَاتِلْهُم "[3].

والمتفحص في السيرة النبوية الشريفة والمحطات التاريخ الإسلامي يجد وصية النبي صلى الله عليه وسلم ماثله فاعلة، فلم يبادر النبي صلى الله عليه وسلم يهودَ بني قريظة الحرب رغم ما عُرف عنهم من الخيانة، ولم يُعلن الحرب عليهم إلا تأديبًا لهم بعد أن نقضوا العهد مع المسلمين بمُساندتِهم للأحزاب في حربهم للمسلمين، ولم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاَّ بعد أن أرسل من صحابته من يؤكد هذا الخبر، فيذكر صاحب كتاب " عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله ابن رواحة وخوّات بن جُبير، فقال: (انطلقوا حتى تنتظروا أحقٌّ ما بلَغَنا عن هؤلاء القوم)، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم "[4].

ومثل ذلك أدّب النبيّ صلى الله عليه وسلم يهود بنو قينقاع بمحاصرتهم وطردهم من المدينة المنوّرة بعد أن كشف اليهود على حين غفلة عورة امرأة مسلمة مما يجب ستره، فقام

1 - (صحيح)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، رقم الحديث: 7094 .

2 - البيهقي أبو بكر، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003م، ج: 09، ص: 107 .

3 - (صحيح)، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: 3929 .

4 - ابن سيد الناس اليعمري، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، الطبعة: الأولى، 1993/1414، ج: 02، ص: 89.

مسلمٌ كان يرى المشهد فقتل اليهودي الذي فعل بها ذلك، فقتل اليهودُ المسلمَ، فكان فعل المسلمين اضطراراً بعد أن جرّهم اليهود إلى المواجهة جراً [1].

ويروي ابن العماد في شذرات الذهب في أخبار منذهب أنَّ أمير المؤمنين المعتصم بالله العباسي بلغه أنَّ مُسلمةٍ أسيرةٍ عند الروم تستنصر به، أرسل خطاباً إلى ملك الروم أن أطلقها وإلاَّ بعثت إليك جيشاً أوله عندك وآخره عندي، فما كان من ملك الروم إلا أن أطلق سراحها جبناً وخوفاً [2] وكفى الله المؤمنين شرّ القتال.

سِمة أخرى نسجلها باعتزاز للحروب في الحضارة الإسلاميّة تعكس النزعة الإنسانية النبيلة في مقاصد الحروب، وهو خلوُّها من النزعة الانتقامية الهمجيّة والتشفي والتشهي في ممارسة القتل فلا انتقام في المصطلحات الحربية في حضارتنا بل هو القصاص العدل، العين بالعين والسنُّ بالسِنْ والعفوْ خير، ونستحضر من طبقات ابن سعد مشهداً عجيباً يشهد على هذه السِمة من سيرة الخليفة الراشدة عمر بن الخطاب الذي عُرف عنه الشدة على أهل الباطل، فقد أُستشهد رضي الله تعالى عنه بطعنة غدرٍ من أبي لؤلؤة المجوسي بتدبير من الهرمزان حاكم الأهواز الفارسيّ، وأحد نصارى الأنبار يُدعى جُفَينة، ومع دناءة الخديعة التي أودت بخليفة المسلمين يومَها غدراً فلم ينتقم من جموع الفرس وهو قادر، ولم ينتقم من جموع النصارى وهو على ذلك أقدر، فما كان منه إلاَّ أن يُصدر قرارًا إنسانيّ أكثر منه عسكريّ إذ قال والدم ينزف منه نزفاً : "إذا عِشتُ فالأمر لي، وإذا متُّ فالقصاص، رجلٌ برجل " أي أمر أن لا يُقتل إلا القاتل فقط، والمسلمون كان لهم من القوة والمَنعة ما يقطعون به دابر الفرس قطعاً، فما لبث أن توفي الخليفة عمر متأثراً بجروحه، فثارت حمية ابنه عبيد الله فأقدم على تصرفٍ إنفراديّ وقتل مُدبري الاغتيال الهرمزان وجُفَينة وابنةً لقاتل أبيه أبي لؤلؤة المجوسي، فقضت الدولة الإسلاميّة على عبيد الله بن الخليفة عمر بالدِّية[3].

ومن أروع المبادئ الإسلامية في الحروب بعد النصر هو التعامل مع الخصوم بالعفو والصفح وعدم التشفي فيهم أو الانتقام منهم، ولن يجد الباحث مَشقةً في انتقاء المشاهد والصور المُعبّرة والشاهدة على ذلك، فقد عفا النبيّ صلى الله عليه وسلم عن وحشيّ، وحشيّ الذي قتل أسد الله حمزة بن عبد المطلب عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم بأمرٍ من هند زوجه أبي سفيان، والتي لم تكتفِ بذلك فمزَّقت جسد حمزة وانتزعت كبده مبالغةً في التَّشَفِّي والانتقام[4]، وتُجمع المصادر على هول فاجعة استشهاد حمزة على نفسية النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لمّا فتح الله تعالى على

1 - أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 هـ، ج: 03، ص: 173.

2 - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، ج: 02، ص: 62

3 - ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج: 03 ، ص: 271.

4 - المباركفوري، الرحيق المختوم ، دار العصماء، دمشق، الطبعة: الأولى ، 1427هـ ، ص: 213.

النبي صلى الله عليه وسلم مكة عفا عن هند وأسلمتْ فحسُن إسلامها وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم، كما قبِلَ إسلام وحشيّ فحسُن إسلامه وخدم الإسلام ومن ذلك قتله لمسيلمة الكذاب[1].

ولم تكن هند وخادمها وحشيّ فقط من شملته نسائم العفو النبويّ، بل سجَّل التاريخ مشهداً قد لا يتكرر مرة أخرى، فبعد أن فتح الله تعالى مكة لنبيّه صلى الله عليه وسلم وقف صناديد قريش ينتظرون صنوف العقاب التي سيقررها المسلمون في حقهم بعد سوء صنيعهم معهم أعواماً، فجاء القرار النبويّ الذي ينقله لنا المقريزيّ وأصحاب السير: " يا معشر قريش: ماذا تظنُّون أنِّي فاعلٌ بكم؟ "، قالوا خيرًا: أخٌ كريمٌ، وابن أخ كريم، فقال: " اليوم أقول لكم ما قال أخي يوسف من قبلُ: لا تثريبَ عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتمُ الطُّلَقَاء"[2].

هذا قليلٌ من كثير يعكس سلامة المقصد ونُبلْ الهدف من الممارسات الحربيّة في الحضارة الإسلاميّة، وسنقف وقفات نستعرض من خلالها أيضاً إنسانيّة الممارسات والوسائل الحربيّة في الحضارة الإسلاميّة مَقرونة بشواهد تاريخيّة من صفحات حضارتنا المجيدة.

- الحرب في الحضارة الإسلاميّة: إنسانية الوسائل والممارسات.

تجليات القيم الإنسانية في الممارسات العسكرية في الحضارة الإسلامية لا تنحصر في الأهداف والمقاصد فقط، بل تتعدَّى ذلك إلى أخلاقيات الحرب وهي في ذروتها، فقد أحدثت الحضارة الإسلامية - بما حملته من قيم سامية - ثورة في المفاهيم الجاهلية للحرب، فالحروب قبل الحضارة الإسلامية كانت مصدر ثراء ودخل ثابت للقبائل، فغيَّر الإسلام المسار، وصحّح الفهم وعظَّمَ أمر الدماء، وكرَّه الحرب، حتى ورد عن نبيّنا صلى الله عليه وسلم النهي عن التسمي باسمها فقال " أحبُّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حربٌ ومُرَّة "[3].

ولم يُؤذن للنبيّ صلى الله عليه وسلّم بالقتال والحرب إلا بعد عشر سنين من بعثته، لحقه ومن معه من المسلمين صنوفاً من التعذيب والتقتيل والتهجير، فنزل قوله تعالى: " أُذِنَ للذين يُقَاتَلُونَ بأنَّهم ظُلِمُوا وإنَّ الله على نصرهم لقدير" (سورة الحج، الآية: 39)، فانطلق أئمة الحضارة من الصحابة والتابعين ينشرون دين الله عز وجل ويُعلِّمُون الدنيا الأخلاقيات التي تعلموها من نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، وهي قوانين حربيّة تتجلّى فيها أسمى القيم الإنسانيّة، ومن تلك الوصايا النبوية الجليلة التي حمّلت أجيال الحضارة الإسلاميّة مبادئ

1 - ابن حزم الأندلسي، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف - مصر، الطبعة: 1، 1900 م، ص: 166 .

2 - المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، ج: 01، ص: 391 .

3 - (صحيح)، البخاري محمد بن إسماعيل ، صحيح الأدب المفرد، حقق أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، 1418هـ / 1997م، رقم الحديث: 814 .

الممارسات الحربيّة وصايا النبيّ صلى الله عليه وسلم المُثبت في أمّهات المصادر والسُنن زمنها: " اغْزُوا جَمِيعًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَاتَلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، فَهَذَا عَهْدُ الله وسيرة نَبِيكُم فِيكُمْ"[1] و" لا تُجْهِزَنَّ عَلَى جَرِيحٍ، وَلا يُتْبَعَنَّ مُدْبِرٌ، وَلا يُقْتَلَنَّ أَسِيرٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ " [2] ، "و لا تقتلوا وليداً ولا شيخًا ولا أصحاب الصوامع"[3] " ولا تحرقوا نخلًا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة " [4]، " ولا تهدموا داراً " [5].

وعلى هدي النبوّة جاءت الخلافة الراشدة لتُرسِّخَ القيم الإنسانية والمُثل العليا والحرص عليها تقنيناً وتنفيذاً، فلمّا أرسل أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى الشام جيشاً أمَّر عليه يزيد بن أبي سفيان خرج أبو بكر رضي الله عنه معه يوصيه ويزيد راكب وأبو بكر يمشي، فقال يزيد: "يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل"، فقال أبو بكر: "ما أنت بنازل وما أنا براكب، إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله، يا يزيد إنكم ستقدمون بلاداً تُؤْتَوْنَ فيها بأصناف من الطعام فسمّوا الله على أوّلها واحمدوه على آخرها، وإنكم ستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسهم في هذه الصوامع، فاتركوهم وما حبسوا له أنفسهم، وستجدون أقواماً قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد يعني الشمامسة فاضربوا تلك الأعناق، ولا تقتلوا كبيراً هرماً ولا امرأة، ولا وليداً، ولا تخربوا عمراناً، ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع، ولا تعقرنَّ بهيمة إلا لنفع، ولا تحرقنَّ نخلاً ولا تُغرقنَّهُ، ولا تغدر، ولا تُمَثِّل، ولا تجْبُنْ، ولا تغْلُل، (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحديد: من الآية25] أستودعك الله وأقرئك السلام " [6].

ومن الملامح الإنسانيَّة في الحروب الإسلامية مبدأ التمييز، ويعني التمييز بين المقاتِل والمُسالِم، فيُمنع قتل النساء والأطفال حتى ولو كانوا مُحاربين، فلو أنَّ حرباً قامت بين المسلمين والكافرين، وكان في جيش الكافرين مُقاتِلون من النساء والأطفال، فالواجب حينئذ تجنُّبهم وعدم مقاتلتهم، وفي حال الاضطرار إلى ذلك يجب الاكتفاء بالدفاع عن النفس وعدم قصد قتل النساء

1 - ابن كثير، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان، عام النشر: 1395 هـ - 1976 م، ج: 04، ص: 437 .

2 - البلاذري، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، 1988، ص: 49 .

3 - محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان،الطبعة: الأولى، 1414 هـ ، 1993 م، ج: 09، ص: 108.

4 - سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق ، سوريا، الطبعة: الأولى، 1434 هـ - 2013 م، ج: 05، ص: 88.

5 - الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي ، بيروت، الطبعة: الثالثة - 1989/1409، ج: 02، ص: 758. ولم أجد تخريجا للحديث .

6 - أبو القاسم التيمي، المبعث والمغازي، تحقيق: محمد بن خليفة الرَّباح، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، دار الوليد، طرابلس - ليبيا، الطبعة: الأولى 1431 هـ - 2010 م، ج: 02 ، ص: 794 .

والأطفال مهما أمكن، وفي حال الظفر بطفلٍ مسلح أو امرأةٍ مُسلحة يكفي أخذ السلاح منهم، ولا يجوز قتلهم[1]، وممّن يشملهم قانون التمييز أيضاً فئة العسفاء وهم الأُجراء والفلاحون وأصحاب الحرف، فالجندي في الحضارة الإسلامية لا يأخذ البريء بجريرة الظالم مصداقا للقانون القرآني " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " (سورة البقرة، الآية: 190)، وقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: " لا يقتلنَّ ذرية ولا عسيفًا "[2].

ومن سِمات النزعة الإنسانية في حروب الحضارة الإسلامية المُستمدّة من شريعتنا الحُكم على ظاهر وأقوال الناس في حالات الحرب، وليس على النوايا المُبيَّتة والخفايا من الأمور والأدلة الظنية، فهذا أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه الحِبُّ ابن الحِبُّ ذكر للنبيّ صلى الله عليه وسلم أنه أدرك في أحد غزواته رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ " قال زيد: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح، قال - صلى الله عليه وسلم -: " أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ " يقول زيد متحسراً فما زال يُكرّرها عليَّ حتى تمنَّيتُ أنّي أسلمتُ يومئذ " [3].

ومن قوانين الممارسات الحربية في الحضارة الإسلامية - أيضاً - عدم التعدي على المُعَاهَدْ والمُستأمَن، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل المُعَاهَد من غير المسلمين، وجعَل هذه الفِعلة جريمة تعْظُمُ عقوبتها ويُحرَمُ صاحبها الجنة، فعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَن قتل نفسًا مُعاهدًا لم يَرَحْ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا " [4].

فالنفس البشريّة مُسلمةً كانت أم كافرة فهي مُقدَّسة في فلسفة الحضارة الإسلاميّة وإليك هذا الموقف العجيب من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يدلُّ على احترام الإسلام للنفس البشرية ولو كافرة، فعن قيس بن سعد وسهل بن حُنيف أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّت به جنازة فقام، فقيل: إنه يهودي؟ فقال: " أليست نفسًا؟!" [5].

ومن ملامح النزعة الإنسانية في حروب الحضارة الإسلاميّة الوفاء بالعهد في ذروة الحرب والتاريخ الإسلامي المجيد حافلٌ بالتطبيقات العملية لهذه القاعدة الأخلاقية العظيمة، ومن ذلك ما رواه الصحابي حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه إذ يقول: " ما مَنَعني أنْ أشهدَ بدرًا إلاَّ أنّي

1 - أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية و دار الغرب الإسلامي، الرباط -بيروت رقم الطبعة: سنة الطبع 1401 - 1981م، ج: 02، ص: 113.

2 - (حسن صحيح) ، التعليقات الحسان، رقم الحديث: 4769.

3 - (صحيح على شرط الشيخين)، الألباني، صحيح أبو داود، رقم الحديث: 2375.

4 - (صحيح)، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: 3452 .

5 - (صحيح)، الألباني، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1405هـ، رقم الحديث: 475.

خرجتُ أنا وأبي حُسَيْلٌ فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنَنصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر، فقال: " انصَرِفا، نَفِي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم"[1]، فرُغم قلة المسلمين عددًا وعدة، إلاّ أنَّ المبدأ الحربي في الحضارة الإسلاميّة رجّح الوفاء بالعهد.

وقريباً منه شاهد تاريخي آخر في هذا السياق، فقد كان من شروط صُلح الحديبية أن يَردَّ المسلمون من جاءهم من قريش مسلمًا دون أن يأذنَ أولياؤه، فلما عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاهَدةَ، جاء أبو جندل وأبو بصير رضي الله تعالى عنهما إلى المدينة ليُعلنا إسلامهما فقبِلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إسلامهما ولكن ردّهما إلى مكة وفاءً بالعهد، وصرخ أبو جندل بأعلى صوته: يا معاشر المسلمين، أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني؟!، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإنَّ الله - عز وجل - جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدًا، وإنا لن نغدر بهم"[2] ، فأيُّ حضارة يُمكن أن تُمِدّنا بهكذا موقف؟.

بل كان السبب المباشر لفتح مكة وتحرُّك جيوش المسلمين من المدينة هو وفاءُ المسلمين بعهدهم مع قبيلة خزاعة، الذين دخلوا في حلف المسلمين وعهدهم، حيثُ تظاهرت قبيلة بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منها ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة [3] ، فكان المسلم عند عهدهم.

وتستمرُّ إنسانيات الحروب في الحضارة الإسلامية حتى بعد تحقيق النصر والظفر، وننتقي من صفحات التاريخ الإسلامي ما يشهد على ذلك أيضاً، من ذلك ما يرويه البلاذري في فتوح البلدان أنّ وفداً من أهل سَمَرْقَنْد قدِمَ على الخليفة عمرُ بن عبد العزيز، فرفعوا إليه أنَّ قائد جيشه " قتيبة " دخل مدينتهم، وأسكنها المسلمين غدرًا بغير حقٍّ، فكَتَبَ عمر إلى عامِلِه هناك أن ينصِّبَ لهم قاضيًا ينظر فيما ذكروا، فإن قضى بإخراج المسلمين من سَمَرْقند، أُخرِجوا، فنصّب لهم الوالي "جميع بن حاضر الباجي" قاضيًا يَنْظُر في شكواهم، فحكم القاضي - وهو مسلم - بإخراج المسلمين، على أن يُنذرَهم قائد الجيش الإسلامي بعد ذلك، ويُنابذهم وَفقًا لمبادئ الحرب الإسلاميَّة، حتى يكون أهلُ سَمَرْقند على استعداد لقتال المسلمين، فلا يُؤْخَذُوا بغتَةً، فلما رأى ذلك أهل سَمَرْقَنْد، رأوا ما لا مَثيل له في التَّاريخ مِن عدالة تنفِّذُها الدولة على جيشها وقائدها، قالوا: هذه أمة لا

1 - الإمام مسلم النيسابوري، المسند الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج: 03، ص: 1414 .

2 - (صحيح)، مشكاة المصابيح، رقم الحديث: 4042.

3 - أبو الفرج نور الدين الحلبي، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية ، 1427هـ، ج: 03، ص: 102.

تُحارَب، وإنما حُكْمها رحمَة ونعمَة، فرضوا ببقاء الجيش الإسلامي، وأقرُّوا أن يقيمَ المسلمون بين أظْهُرهم[1] ، فأيُّ إنسانيّة أرقى وأيُّ عدلٍ أسمى من هذا، والله خيرٌ وأبقى[2].

وصورة أخرى من هذا القبيل يذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق التي فتحها المسلمون بعد انتصارات اليرموك ووضعوا الجزية على أهلها مُقابل حمايتهم والدفاع عنهم، فلمّا جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نُصرتكم والدّفاع عنكم، فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: " لَولايتكم وعدلكم أحبّ إلينا ممّا كنّا فيه من الظّلم والغشم، ولندفعنّ جند هرقل عن المدينة مع عاملكم " [3].

ومما يشهد على روعة العمل الإنْسَاني في حروب الحضارة الإسلامية فتح بيت المقدس الأول على يد الفاروق عمر بن الخطاب، والفتح الثاني على يد الناصر صلاح الدين الأيوبي، فيروي ابن كثير في البداية والنهاية أنّ نصارى بَيْتِ الْمَقْدِسِ طلبوا " الْأَمَانَ وَالصُّلْحَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ سَمِعُوا بِقُدُومِهِ فَأَجَابَهُمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَا سَأَلُوا،" [4] ويروي ابن الأثير في الكامل عن صلاح الدين أنَّه " كَانَ كُلَّمَا فَتَحَ مَدِينَةً أَوْ قَلْعَةً أَعْطَى أَهْلَهَا الْأَمَانَ " [5] .

ونورد هنا تعليقاً رائعاً للمؤرخ الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله تعالى - من كتابه روائع الحضارة الإسلامية فيقول: " إنَّ قصة صلاح الدين مع الغَربيين في الحروب الصليبية تُشبه الأساطير، ولولا أن الغَربيين أنفسهم لا يكاد ينتهي عجبهم من نُبْل هذا البطل الخالد، وسموّ أخلاقه - لكان مجالاً لاتّهام مُؤَرّخينا بالمبالغة، والغَربيون أنفسهم هم الذين يذكرون عن صلاح الدين أنه بلغه مرض ريتشارد قلب الأسد - أكبر قواد الحملات الصليبية وأشجعهم - فأرسل إليه صلاح الدين طبيبه الخاص، يحمل إليه العلاج والفواكه التي لا يمكن أن يحصلَ عليها ذلك القائد الصليبي هذا والحرب بينهما مستعرة، وجيشاهما في صراع، وهمُ الذين يذكرون أن امرأةً غربية ألقتْ بنفسها على خيمة السلطان صلاح الدين، تبكي وتولول وتشكو إليه أن اثنين من جنود جيشه خطفا لها

1 - البلاذري، فتوح البلدان، ص: 407

2 - من البحوث المتميّزة التي جمعت صور من روائع الحضارة الإسلاميّة في حالتي السلم والحرب كتاب: من روائع حضارتنا، للدكتور مصطفى السباعي، دار الوفاق، الطبعة الأولى، 1999، بيروت، لبنان، فيُنصحُ للمهتمّين مراجعته.

3 - ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م، ج: 01، ص: 251. والبلاذري ، فتوح البلدان، ص: 187.

4 - ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م، ج: 07، ص: 66.

5 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1997م، ج: 10، ص: 69.

ولدها، فبكى صلاح الدين وأرسل مَن يفتش عن الولد حتى وجدوه وسُلِّم إليها، وأُرْسِلتْ بحراسة الجيش إلى معسكرها آمنةً مطمئنة، فماذا يقول قائل بعد هذا؟ " [1].

شاهد آخر نسوقه هذه المرة من الفترات الأخيرة للحضارة الإسلاميّة، وبالضبط من صفحات الإمبراطورية العثمانية، حيث يُجمعُ المؤرخون على عدالة وإنسانيّة السلطان الشاب محمد الفاتح، إذ فتح القُسْطَنْطِينيَّة وسلك مع أهلها النصارى سياسة الرأفة والتسامح، وفَدَى عدد كبير من الأسرى بخالص ماله، خاصة الأمراء منهم ورجال الدين، واجتمعَ بالأساقفة من كنيسة آيا صوفية وأمَّنهم على أنفسهم وبيوت عباداتهم ونُظمهم وعقائدهم وشرائعهم، وسمح لهم بانتخاب بطريكا يمثلهم فانتخبوا " جناديوس"[2]، فأدركوا حينها أنّهم بين يدي سلطان يُمثل حضارة ذات إنسانية رفيعة .

ومما يشهد على إنسانية الثقافة الحربية في الحضارة الإسلامية - حتى بعد تحقيق النصر - معاملة الأسرى، وهي مَعْلَمة ومَفخرة للحضارة الإسلامية .

ومعنى الأسير في قاموس الحضارة الإسلامية كل من يحمل السلاح ضد الإسلام وهو قادر على الحرب، سواء أكان جنديًّا أصليًّا، أو متطوعًا، أو مرتزقًا، أو جاسوسًا، ولا يُعدُّ الأطفال والشيوخ والنساء والرهبان والفلاحون ومُطلَق العجزة من الأسرى، لأن لهم معاملة خاصة، إلاَّ إذا اشتركوا في القتال [3]، والمُتأمِّل في أحكام الشريعة الإسلامية في مسألة الأسرى وحقوقهم، وطبيعة التعامل معهم يلحظ بجلاء أن الإسلام يجنحُ باستمرار إلى تغليب الجانب الإنساني في معاملة الأسرى.

وروى الطبري في تاريخه أنَّه جِيء للنبي صلى الله عليه وسلم بأسرى فأوصى بهم خيرا، وكان من بينهم رجلٌ يدعى أبو عزيز بن عمير بن هاشم في الأسارى، فنُقِلَ عنه أنّه قال : " كنتُ في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خصُّوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إيَّاهم بنا، ما تقع في يد رجُل منهم كسرة من الخبز إلا نفَحَني بها، قال: فأَستحي فأردُّها على أحدهم، فيردُّها عليَّ ما يَمَسُّها " [4]، وكان الخبز عندهم أنفس من التمر، لندرة القمح وكثرة التمر، فلهذا كان إيثار الأسير بالخبز من باب الإكرام والحفاوة.

خاتمة وتوصية:

1 - مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص: 167.

2 - أُنظر: عبد السلام عبد العزيز فهمي، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، 1993م، ص: 142.

3 - ابن رشد القرطبي، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، حققه: محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، ج: 17، ص: 532.

4 - ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ ، ج: 02، ص: 39.

إنّ الـذي يَستقـرئُ مسـار الحـروب في الحضـارة الإسـلامية بإنصـافٍ ويـتفحص ممارسـاتها بموضوعيّةٍ ويتتبّع أهدافها بمصداقيّةٍ يَخلصُ إلى جملة من القيم الإنسانية النبيلة التي من شأنها أن تزرع الثقة في أنفسنا وحضارتنا وديننا، وتكشف لنا زيف المزاعم الغربية المُتباكية على حقوق الإنسان.

وما نـُؤكِّـدُ عليه في نهاية هذا العرض التاريخيّ أنَّ النزعة الإنسانيّة المتجلية في الممارسات والمقاصد الحربية في الحضارة الإسلامية هي الأصل وأيّ ممارسات ليست من هذا القبيل هي دخيلة ومحسوبة علينا وعلى ديننا وحضارتنا بغير حق، وهي من التدليس الذي تُكذبه الشواهد التاريخيّة، وليس ببعيد أن يكون مُتعمَّدًا لتشويه الإسلام وحضارته المجيدة.

وما نوصي به أن يشتغل المؤرخ إلى الجانب الفقيه جنباً إلى جنب من أجل تصحيح ما يُفسدهُ المستشرقون، فالفقيه يستحضر النصوص القرآنية والنبويّة الصحيحة ويوظفها في سياقها الصحيح، وأمّا المؤرخ فيستحضر المواقف والشواهد من عمق الحضارة الإسلامية، لأنّ التاريخ الإسلامي شاهد عدْل ودليل صِدْق على إنسانية الحضارة الإسلاميّة في سِلْمِها وحرْبِها.

مصادر ومراجع البحث:

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1997م.
- ابن الخطيب العمري التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985م.
- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية.
- ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ
- ابن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ
- ابن حزم الأندلسي، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف - مصر، الطبعة: 1، 1900 م.
- ابن رشد القرطبي، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، حققه: محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.

- ابن سيد الناس اليعمري، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، الطبعة: الأولى، 1414/1993.
- ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م.
- ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988م.
- ابن كثير، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان، عام النشر: 1395 هـ - 1976 م.
- أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية و دار الغرب الإسلامي، الرباط -بيروت رقم الطبعة: سنة الطبع 1401 - 1981م.
- أبو الفرج نور الدين ابن برهان الدين الحلبي، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية ، 1427هـ
- أبو القاسم التيمي، المبعث والمغازي، تحقيق: محمد بن خليفة الرَّباح، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، دار الوليد / طرابلس - ليبيا، الطبعة: الأولى 1431 هـ - 2010 م.
- الألباني محمد ناصر الدين، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
- الألباني محمد ناصر الدين، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1405هـ
- الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي.
- الإمام مسلم النيسابوري، المسند الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- البخاري محمد بن إسماعيل ، صحيح الأدب المفرد، حقق أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، 1418هـ / 1997م.
- البلاذري، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، 1988،م.
- البيهقي أبو بكر ، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.

- البيهقي أبو بكر، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 هـ
- السباعي مصطفى، من روائع حضارتنا، دار الوفاق، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1999م.
- سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق ، سوريا، الطبعة: الأولى، 1434 هـ - 2013 م.
- الصالحي محمد بن يوسف الشامي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان،الطبعة: الأولى، 1414 هـ ، 1993 م.
- فهمي عبد السلام عبد العزيز، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، 1993م.
- القرافي شهاب الدين، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م.
- المباركفوري، الرحيق المختوم ، دار العصماء، دمشق، الطبعة: الأولى ، 1427هـ .
- مجموعة من الباحثين، موسوعة بيان الإسلام (الرد على الإفتراءات والشبهات)، دار نهضة مصر للنشر، مصر، الطبعة الأولى، 2011م.
- المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
- الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي ، بيروت، الطبعة: الثالثة - 1989/1409م.